قوله D : 11 - { إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم } الآيات سبب نزول هذه الآية ما أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد ا النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا عبد العزيز بن عبد ا أخبرنا إبراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب قال : حدثني عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد ا بن عبد ا بن عتبة بن مسعود عن عائشة Bها زوج النبي A حين قال لها أهل الإفك ما قالوا وكلهم حدثني طائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت له اقتصاصا وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة وبعض حديثهم يصدق بعضا .

قالوا : قالت عائشة : كان رسول ا A إذا أراد سفرا أقرع بين أزواجه وأيهن خرج سهمها خرج بها النبي A معه قالت عائشة : فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول ا A بعدما أنزل الحجاب فكنت أحمل في هودج وأنزل فيه فسرنا حتى إذا فرغ رسول ا A من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة قافلين آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه قالت : وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب عليه وهم يحسبون أني فيه وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم إنما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها منهم داع ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت به وظننت أنهم سيفقدونني فيرجعون إلي فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رآني وكان رآني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي وا ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها فقمت إليها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة وهم نزول .

قالت : فهلك من هلك وكان الذي تولى كبر الإفك عبد ا بن أبي بن سلول قال عروة أخبرت أنه كان يشاع ويتحدث به عنده فيقره ويستمعه ويستوشيه .

وقال عروة أيضا : لم يسم من أهل الإفك أيضا إلا حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش في ناس آخرين لا علم لي بهم غير أنهم عصبة كما قال ا تعالى : { والذي تولى كبره }

قال : عبد ا بن أبي سلول قال عروة : كانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان وتقول : إنه الذي قال : .

(فإن أبي ووالدتي وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاء) .

قالت عائشة : فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهرا والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك لا أشعر بشيء من ذلك وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول ا A اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي إنما يدخل علي رسول ا A فيسلم ثم يقول كيف تيكم ؟ ثم ينصرف فذلك يريبني ولا أشعر بالشر حتى خرجت حين نقهت فخرجت مع أم مسطح قبل المناصع وكان متبرزنا كنا لا نخرج إلا ليلا إلى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الأول في التبرز قبل الغائط وكنا نتأذى بالكنف / أن نتخذها عند بيوتنا .

قالت : فانطلقت أنا وأم مسطح - وهي ابنة أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت : تعس مسطح فقلت لها : بئس ما قلت أتسبين رجلا شهد بدرا ؟ فقالت : أي هنتاه أولم تسمعي ما قال ؟ قالت فقلت : ما قال ؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك قالت فازددت مرضا على مرضي فلما رجعت إلى بيتي دخل علي رسول ا A ثم قال : كيف تيكم ؟ فقلت له : أتأذن لي أن آتي أبوي ؟ قالت : وأنا أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما قالت : فأذن لي رسول ا A فقلت لأمي : يا أمتاه ماذا يتحدث الناس ؟ فقالت : يا بنية هوني عليك فوا لقل ما كانت امرأة قط رضية عند رجل يحبها لها ضرائر إلا أكثرن عليها قالت فقلت : سبحان ا أو لقد تحدث الناس بهذا ؟ قالت : فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقا لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي .

قالت : ودعا رسول ا A علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يسألهما ويستشيرهما في قراق أهله فأما أسامة فأشار على رسول ا A بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم لهم في نفسه فقال أسامة : أهلك ولا نعلم إلا خيرا وأما علي فقال : يا رسول ا لم يضيق ا عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية تصدقك قالت : فدعا رسول ا A بريرة فقال : أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك ؟ قالت له بريرة : والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمرا قط أغمضه أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله .

قالت : فقام رسول ا A من يومه فاستعذر من عبد ا بن أبي وهو على المنبر فقال : يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي وا ما علمت على أهلي إلا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا وما يدخل على أهلي إلا معي قالت : فقام سعد ابن معاذ أخو بني عبد الأشهل فقال أنا يا رسول ا أعذرك فإن كان من الأوس ضربت عنقه وإن

كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا فعلنا أمرك قالت : وقام رجل من الخزرج وكانت أم حسان بنت عمه من فخذه وهو سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج قالت : وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد : كذبت لعمر ا لا تقتله ولا تقدر على قتله ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد فقال لسعد بن عبادة : كذبت لعمر ا لنقتله فإنك منافق تجادل عن المنافقين قالت : فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول ا A قائم على المنبر قالت : فلم يزل رسول ا A يخفضهم حتى سكتوا وسكت .

قالت : فبكيت يومي ذلك كله لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم قالت وأصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين ويوما لا أكتحل بنوم ولا يرقأ لي دمع حتى إني لأظن أن البكاء فالق كبدي فبينا أبواي جالسان عندي وأنا أبكي فاستأذنت علي امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي معي .

قالت : فبينا نحن على ذلك دخل رسول ا A علينا فسلم ثم جلس قالت : ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها وقد لبث شهرا لا يوحى إليه في شأني بشيء قالت : فتشهد رسول ا A حين جلس ثم قال : أما بعد يا عائشة فإنه بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك ا وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري ا وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف ثم تاب تاب ا عليه .

قالت : فلما قضى رسول ا A مقالته فاض دمعي حتى ما أحس منه قطرة فقلت لأبي أجب رسول ا A فيما قال فقال أبي : وا ما أدري ما أقول لرسول ا A فقلت لأمي : أجيبي رسول ا A فيما قال : فقالت أمي : وا ما أدري ما أقول لرسول ا A فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيرا : إني وا لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم إني بريئة لا تصدقوني ولئن اعترفت لكم بأمر وا يعلم أني منه بريئة لتصدقني فوا لا أجد لي ولكم مثلا إلا قول أبي يوسف حين قال : { فصبر جميل وا المستعان على ما تصفون } (يوسف - 18) ثم تحولت واضطجعت على فراشي وأنا أعلم وا يعلم أني حينئذ بريئة وأن ا مبرئي ببراءتي ولكن وا ما كنت أظن أن ا منزل في شأني وحيا يتلى لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم ا في بأمر ولكن كنت أرجو أن يرى رسول ا A في النوم رؤيا يبرئني ا بها فوا ما رام رسول ا A مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه الوحي فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه ليتحدر منه العرق مثل الجمان وهو في يوم شات من ثقل القول الذي أنزل عليه قالت : فسري عن رسول ا A وهو يضحك فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال : يا عائشة أما وا فقد برأك ا قالت : فقالت لي أمي : قومي إليه فقلت : وا لا أقوم إليه فإني لا أحمد إلا ا قالت : وأنزل ا تعالى : { إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم } العشر الآيات فلما أنزل ا في براءتي قال أبو بكر الصديق وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره : وا لا أنفق على مسطح شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة ما قال فأنزل ا : { ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة } إلى قوله { غفور

رحيم } قال أبو بكر الصديق : بلى وا إني لأحب أن يغفر ا لي فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال : وا لا أنزعها منه أبدا .

قالت / عائشة : وكان رسول ا A سأل زينب بنت جحش عن أمري فقال لزينب : ماذا علمت أو رأيت ؟ فقالت : يا رسول ا أحمي سمعي وبصري وا ما علمت إلا خيرا قالت عائشة وهي التي تساميني من أزواج النبي A فعصمها ا بالورع قالت : وطفقت أختها حمنة تحارب لها فهلكت فيمن هلك .

قال ابن شهاب : فهذا الذي بلغني من حديث هؤلاء الرهط قالت عائشة : وا إن الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول : سبحان ا فوالذي نفسي بيده ما كشفت عن كنف أنثى قط قالت : ثم قتل بعد ذلك في سبيل ا .

ورواه محمد بن إسماعيل عن يحيى بن بكير أخبرنا الليث عن يونس عن ابن شهاب بإسناد مثله وقال : وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري ا وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب ا عليه إلى قوله : فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك .

ورواه أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : ولقد جاء رسول ا A بيتي فسأل عني خادمتي فقالت : لا وا ما علمت عليها عيبا إلا أنها كانت ترقد حتى تدخل الشاة فتأكل خميرها أو عجينها فانتهرها بعض أصحابه فقال : اصدقي رسول ا حتى أسقطوا لها به فقالت : سبحان ا وا ما علمت عليها إلا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر وفيه قالت : وأنزل على رسول ا A فرفع عنه وإني لأتبين السرور في وجهه وهو يمسح جبينه ويقول : أبشري يا عائشة فقد أنزل ا براءتك فقال لي أبواي : قومي إليه فقلت : لا وا لا أقوم إليه ولا أحمده ولا أحمد أحدا ولكن أحمد ا الذي برأني لقد سمعتموه فما أنكرتموه ولا غيرتموه .

أما تفسير قوله : { إن الذين جاؤوا بالإفك } بالكذب والإفك : أسوأ الكذب سمي إفكا لكونه مصروفا عن الحق من قولهم : أفك الشيء إذا قلبه عن وجهه وذلك أن عائشة كانت تستحق الثناء لما كانت عليه من الحصانة والشرف فمن رماها بالسوء قلب الأمر عن وجهه { عصبة منكم } أي : جماعة منهم عبد ا بن أبي بن سلول ومسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش زوجة طلحة بن عبيد ا وغيرهم { لا تحسبوه شرا لكم } يا عائشة ويا صفوان وقيل : هو خطاب لعائشة ولأبويها وللنبي A ولصفوان يعني : لا تحسبوا الإفك شرا لكم { بل هو خير لكم } لأن ا يأجركم على ذلك ويظهر براءتكم .

{ لكل امرئ منهم } يعني من العصبة الكاذبة { ما اكتسب من الإثم } أي : جزاء ما اجترح من الذنب على قدر ما خاض فيه { والذي تولى كبره } أي : تحمل معظمه فبدأ بالخوض فيه قرأ يعقوب كبره بضم الكاف وقرأ العامة بالكسر قال الكسائي : هما لغتان قال الضحاك : قام

بإشاعة الحديث وهو عبد ا بن أبي بن سلول .

وروى الزهري عن عروة بن عائشة { والذي تولى كبره منهم } قالت : عبد ا بن أبي بن سلول والعذاب الأليم هو النار في الآخرة .

وقد روى ابن أبي مليكة عن عروة عن عائشة في حديث الإفك قالت : ثم ركبت وأخذ صفوان بالزمام فمررنا بملأ من المنافقين وكانت عادتهم أن ينزلوا منتبذين من الناس فقال عبد ا بن أبي رئيسهم : من هذه ؟ قالوا : عائشة قال : وا ما نجت منه وما نجا منها وقال : امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقود بها وشرع في ذلك أيضا حسان ومسطح وحمنة فهم الذين تولوا كبره .

وقال قوم : هو حسان بن ثابت .

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد ا النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا بشر بن خالد أخبرنا محمد بن جعفر عن شعبة بن سليمان عن أبي الضحاك عن مسروق قال : دخلت على عائشة وعندها حسان بن ثابت ينشد شعرا يشبب بأبيات له وقال : .

(حصان رزان ما تزن بريبة ... وتصبح غرثى من لحوم الغوافل) .

فقالت له عائشة : لكنك لست كذلك قال مسروق فقلت لها : لم تأذنين له أن يدخل عليك وقد قال ا تعالى : { والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم } ؟ قالت : وأي عذاب أشد من العمى وقالت : إنه كان ينافح أو يهاجي عن رسول ا A .

ويروى [أن النبي A أمر بالذين رموا عائشة فجلدوا الحد جميعا ثمانين ثمانين]